ملخّص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ١٨ / الشيخ الغزّي
لماذا يخاطب القرآن النبي صلى الله عليه وآله بالنهي؟ ج٢
حديث: .. لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ج١
الأربعاء : ٤/ربيع الأول/١٤٤٥هـ - الموافق ٢٠/٩/٢٠٢٣م

وصلتُ معكُم في الحلقة الماضية إلى الرسالة الَّتي تستفهِمُ عَن آيات في الكتابِ الكريم هذه الآياتُ تنهى النَّبيّ - بحسَب الألفاظ - عن العجلة، وتساءلت الر سالةُ ما هذا النَّهي في هذه الآيات؟ هُناكَ عجلةٌ ممدوحةٌ، وهُناكَ عجلةٌ مَذمُومَة، فهذا النَّهي قطعاً لن يَكُونَ عن عجلةٍ ممدُوحَة، وفي الوقتِ نفسه فإنَّ النَّبيّ لا يستعجِلُ عجلةً مَذمُومَة..

بحسبِ منهج العترة الطاهرة فإنَّ القُرآنَ آفاقهُ كثيرةٌ مُتعدِّدة، إذا وجَّهنا أنظارَنا إلى قاعدة؛ "أنَّ القُرآنَ نزلَ بلِسانِ إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارَة"، المعنى واضح، فإنَّ الآية تتحدَّثُ عن "سنَّة الإمهال"، وقد بيّنتُ هذا لَكُم..

وهُناكَ أفقٌ آخر؛ "فإنَّ القُرآنَ فيه أُفُقٌ يكُونُ أسلوبهُ أسلوبَ مُطايبة فيما بينَ اللّه وبينَ رَسُوله".

الكلامُ هُوَ هُوَ في نفسِ اللَّحن وفي نفسِ المذاق: ﴿**فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ** - لا تُبالي بِهِم - **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾، الكلامُ هُنا ليسَ في مقامِ النَّهي الَّذي يَكُون نهياً تحريمياً، ولا في مقامِ النَّهي الَّذي يكونُ نهياً تنزيهياً، ولا في مقامِ النَّهي الَّذي يكونُ نهياً إرشادياً، النَّبي مُحَمَّدٌ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله أسمى من كُلِّ ذلك، فإنَّ اللّهَ لا ينهاهُ بنحوٍ مُباشرٍ لشخصه الأقدس، هذا حديثٌ مُطايبة ومُؤانسة..

ومثلُ هذا كثيرٌ في الكتابِ الكريم، القُرآنُ لا يُحبَسُ لا في أُفُقِ الظهورِ العُرفي لأنَّنا في بعضِ الأحيانِ نفهَمُ الآيات بحسَبِ الظهور العرفي، إذا كانَ المنهجُ العَلَويّ للتفسيرِ يأمُرنا بهذا، نحنُ لا نرفضُ الفَهمَ وفقاً للظهور العرفي مُطلقاً إنَّما نرفضُ أن يتسيدَ هذا الفهم، الظهورُ العرفي فهمٌ نحتاجهُ في بعض الأحيان.

آفاقُ القُرآن لها أوَّلٌ ولكن ليسَ لها آخر، ويتجلَّى لنا منها بحسبِ أوعية قُلُوبنا، (يَا كُمَيْلَ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ - أميرُ المؤمنين يَقولُ لَهُ - وَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا)، "أَوْعَاهَا"؛ أكبرُها أوسَعُها أعمقُها، فهذا بعضُ شيءٍ من آفاق الكتاب الكريم، وهُناكَ آفاقٌ أُخرى..

في سورة طه، الآيةُ الرابعةُ بعدَ العاشرةِ بعدَ المئة بعدَ البسملة والَّتي جاءَ فيها بحسبِ سؤال الرسالة: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾، الآيةُ بنحوٍ كامل: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾، وفي سورة القيامة، الآيةُ السادسةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة وما بعدَها: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** - لتَعْجَلَ بالقُرآن - **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾.

الآيتانِ في سياقٍ واحدٍ ولذا سيكونُ الجوابُ واحداً بخُصوص الآيتين؛

الآيتان بحسَبِ الظهور العرفي فإنَّهُما تتحدَّثانِ عن النَّبي صلَّى اللَّهُ عليه وآله من أنَّهُ أثناءَ الوحي حينما يُوحَى إليهِ بالقُرآن إنَّهُ يستعجلُ مُتلفِّظاً قبلَ أن يكتَمل الوحي، لماذا؟ لأنَّهُ كانَ يخافُ أن يَنسى! وهل هذا الكلامُ منطقيٌّ؟!

نحنُ إذا رجعنا إلى أوَّل سورةٍ بحسَبِ ما هوَ معروفٌ من أنَّها نزلت على النَّبيّ إنَّها سورةُ العلق، الَّذي جاءَ فيها: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾، فهل يُمكنُ أن ينطبقَ هذا الكلامُ على سائرِ البشرِ ولا ينطبقُ على رَسُولِ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله والَّذي يُعلِّمهُ اللَّهُ بنحوٍ مُباشر؟!

وما جاء أيضاً: ﴿**سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَىٰ**﴾، لا يُمكنُ أن يُفكِّرَ رسُولُ اللّه بهذهِ الطريقة حتَّى يقُومَ باستعجالِ قراءةِ الآيات لأجلِ أن يحفظَها، هذا منطقُ سقيفة بني ساعدة، الَّذي ينسجمُ معَ الظهور العرفي..

في (تفسير القمّي)، طبعةُ مُؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ في سياقِ ما جاء مروياً عن إمامنا الباقرِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه في بيانِ معنى الآيات من سورة طه: **وَقَولُهُ؛ "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً"، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن بَادَرَ بِقراءته قَبْلَ تَمَامِ نُزُولِ الآيَةِ وَالْمَعْنَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ"، أي يُفْرَغُ من قِراءته** - أثناء الوحي، الكلامُ عامٌّ هَل أنَّ النَّبي كانَ يتلفَّظُ بالآيات ويقرؤها خوفاً من نسيانها مثلما يقولُ سقيفيوا بني ساعدة، أم أنَّ النَّبيّ كانَ يُردِّدُ الآيات لأنَّهُ عالمٌ بها؟!

وكُلُّ هذا يُشكِّلُ نقصاً؛ إن كانَ النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليه وآله يُردِّدُ الألفاظَ لأجلِ أن لا ينساها أو كانَ النَّبيّ يُسابِقُ الوحي فهذا نقصٌ أيضاً، حينما يُسابِقُ الوحي فإنَّهُ يُسابِقُ إرادة اللّه، هذا نقصٌ وهذا نقصٌ، لابُدَّ أن نعرفَ من أنَّ تفسيرَ القمّي تعرّض للتحريف الكثير، وللتصحيفِ الكثير حتَّى في أيَّامنا هذه إذا أردتُ أن أُقارنَ بينَ الطبعات لهذا الكتاب مُنذُ سبعينَ سنة وإلى الآن فإنَّ الطبعاتِ تختلفُ من طبعةٍ إلى أُخرى..

إذاً ما هو المُرادُ من الآيتين؟!

لابُدَّ أن نعرفَ من أنَّ أساليبَ التعبيرِ ليست محصُورةً بالظهور العرفي، هذهِ المشكلةُ الَّتي وقعَ فيها مُفسِّرو القُرآن من السقيفتين، سأضربُ لَكُم مثالاً واضحاً من الكتاب الكريم:

في سورة البقرة، الآيةُ الخامسةُ والأربعون بعدَ المئتين بعدَ البسملة: ﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، كلامٌ غريبٌ إذا أردنا أن نتعاملَ معهُ بحسَبِ الظهور العرفي، وبحدود الدَلالَة اللُّغويَّة للألفاظ، هذا يعني أنَّ اللّهَ يحتاجُ إلى إقراضنا، مَن نحنُ؟! هُو الَّذي خلَقَنا وخَلَقَ ما نَملكُ من ملكيَّة لأيِّ شيء، وهُوَ الَّذي سَلَّطنا على ما نَملكُ من ملكيَّة، نحنُ عبيدهُ وما في ملكيّتنا عائدٌ إليه، وعلَّمنا كيفَ نتصرفُ بِما نَملك عبرَ عُقُولنا أو عبرَ ما يتَّفقُ عليه النَّاس أو عبرَ الأديان، كُلُّ شيءٍ راجعٌ إليهِ فلماذا يطلبُ منِّي أن أُقرِضَهُ هل هُوَ محتاج؟!

إنَّهُ يُطالبُ بحسنةَ أُقدِّمُها لَهُ، ويُغريني بعدَ ذلكَ يُواعدُني إنَّهُ يُريدُ أن يُضاعفَ لي القرض، مُعاملةٌ ربويَّة! وهذا من الربا الفاحش إنَّهُ يُضاعفُ القرضَ أضعافاً كثيرة، هَل أنَّ اللّهَ بحاجة إلى ذلك؟!

في سورة المائدة، الآيةُ الثانيةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا منهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً** - بعدد أئمَّتنا في سلسلة الأئمَّة الاثني عشر، وهؤلاء هُم النُّقباءُ الَّذينَ اختارَهُم اللّه، لكنَّ الأُمَّة الفاجرةَ هذهِ هي الَّتي غيَّرت سُنَنَ اللّه بحسَبِها، سُنَنُ اللّه لا تتغيَّر فالأئمَّةُ الاثنا عشر موجودونَ برغْم آنافهم، والثاني عشر على الأبواب سيُرغِمُ آنافَ الجميع.

- **وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي معكُمْ** - إنِّي معَكُم إنْ كُنتُم معَ هؤلاء وفي البرنامج نفسه – **لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ** - عزّرتُم الأنبياء والنُّقباء إنَّهُم أوصياء الأنبياء - **وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً** - هذا في الأُمَم السَّابقة، إنَّ اللّهَ يطلبُ منَّا يطلبُ من الَّذينَ آمنوا به في الأُمَم الماضية، في الأُمَم الحاضرة، في الأُمَم القادمة أن نُقرِضَهُ قَرضاً حَسَناً - **لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾، إلى آخرِ ما جاء في الآية الكريمة.

في سورة الحديد، الآية الحادية بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ** - إقراضٌ ربوي - **وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيم**﴾..
في السورة نفسها، الآيةُ الثامنةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيم**﴾، إصرارٌ على هذا الموضوع من قبله سُبحانهُ وتعالى.
في سورة التغابُن، الآيةَ السابعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيم**﴾.
في سورة المزمـل، الآيةَ العشرين بعدَ البسملة وهي آخرُ آيةٌ في السورة: ﴿**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** - ما تَيسَّر مِنَ القُرآن - **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾.
تُلاحظونَ من أنَّ الإلحاحَ الإلهيّ هذا من سورة البقرة، من أوائل القُرآن إلى سورة المزمّل في أواخر القُرآن سُبحانهُ وتعالى يُريدُ منَّا أن نُجريَ مُعاملةً ربويّةً معَهُ نُقرِضهُ قرضاً حسناً وهُوَ يُضاعفُ القرضَ لنا، لماذا هذا الإصرارُ على استعمالِ هذهِ الكلماتِ وهذهِ الألفاظ؟ هذهِ أخلاقُ اللّه حينما يأمُرنا نَبِينا وأئمَّتنا بأنْ نَتخلَّقَ بأخلاقِ اللّه هذهِ هي أخلاقُ اللّه..
في كتاب (المؤمن)، للحُسينِ بنِ سعيدِ الأهوازي من أصحاب الأئمَّة، من أُصولنا الحديثيَّة الأصليّة، طبعةُ مؤسَّسة الإمامِ المهديّ/ قُم المقدَّسة/ الصفحة الثانية والثلاثين، الحديثُ الثاني والستون عَنْ إمامنا الباقرِ صلواتُ اللّه عليه يُحدِّثُنا عن اللّه فماذا يقولُ اللّه: **ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّه** - هذا الكلامُ يُمكنُ أن ينطبقَ عَلَيّ ويُمكنُ أن ينطبقَ على أيِّ أحدٍ منكُم، هذا الكلامُ ليسَ خاصّاً بالأنبياء والمرسلين - **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا** - اللّهُ يكونُ رِجلي الَّتي أمشي بهَا مَن أنا؟! هذا كلامهُ سبحانه وتعالى.
الإنسانُ حينما يزدادُ تواضُعاً يكونُ جواداً، هُناكَ صلةٌ بينَ التواضُعِ والجُوْد، ولذا فإنَّ التواضُعَ هو الَّذي يُغَذِّي الجُوْدَ حتَّى يجودَ الإنسانُ بنفسه، وكما يقولون الجودُ بالنَّفس أقصى غاية الجُود، الإنسانُ يُمكنُ أن يجودَ بنفسه من أينَ جاءَ بهذه الخصلة؟ جاء بها من اللّه، لابُدَّ أن يأتي بِها من جهة تتحلَّى بهذه الخصلة..
فهذه الآياتُ الَّتي تحدَّثت عن أنَّ اللّه يُطالِبنا أن نُقرِضَهُ قَرْضاً حَسناً لا تتحدَّثُ عَنْ قَرْض، هذهِ الآيات ألفاظُها تتحدَّثُ عن قَرْض، لكنَّ الآياتِ تُريدُ أن تُخبرَنا من أنَّ جُوْدَ اللّه لا حُدودَ لَهُ، هذا مُستوىً من أسلوبِ الكنايات العالية جداً..
﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾، هذه الألفاظُ لا تُريدُ منَّا أن نفهمها بحدود حاقِّ الألفاظ هي كنايةٌ عاليةٌ تُريدُ أن تُخبرنا من أنَّ النَّبيّ الأعظَمَ عالمٌ بالقُرآنِ مُحيطٌ به، فقدَ نزلَ القُرآنُ عليه بكامَله نزلَ جُملةً، أمَّا نُزول القُرآنِ بنحوٍ تفصيليٍ فهذا أمرٌ يكُونُ في مستوى المداراة للأمَّة حتَّى يرى الَّذينَ كانوا يُشاهدونَ حالات الوحي أمامَ أعينِهم كي يُصَدِّقُوا من أنَّ الوحي ينزِلُ على رَسُولِ اللّه مثلما سَمعوا من نُزول الوحي على الأنبياء السابقين من اليهود من النصارى..
الآيةُ من سورة القيامة: "**لَا تُحَرِّكْ بِه لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه**"، هاتان الآيتان تُخبِران أنَّ رَسُولَ اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله عالمٌ بالقُرآنِ بِكُلِّه من أوَّله إلى آخره على مستوى الألفاظِ وعلى مستوى المعاني، الكلامُ هُنا كلامٌ بأسلوب الكناية العالية مثلما مرَّ علينا في الآياتِ الَّتي تُخاطِبُنا أن نُقْرِضَ اللَّهَ قَرْضاً حَسناً، الأسلوب نَفسُهُ..
أم جعفر من النَّجف وكما جاء في الرسالة إنَّها أُستاذةٌ في الحوزة، أذهبُ إلى مورد السؤال:
ما نُسبَ إلى رَسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآلَه: "**وأيمُ اللّه لو أنَّ فَاطمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٌ سرقت لقطعَ مُحَمَّدٌ يدَهَا**"، كيفَ نفهَمُ ذلك؟
أوّلاً : لابُدَّ أن نعرِفَ من أنَّ هذا الحديث لا وجودَ لهُ في كُتُبِنا الشيعيّة، مُرادي لاَ وجودَ لَهُ في كُتُبِنا الشيعيّة لَم يأتِ منقُولاً عن العترة الطاهرة، هُناكَ كُتُبٌ شيعيّةٌ ذكرَت هذا الحديث لكنَّها نقلَت الحديثَ عن الكُتُب السُنيّة، فهذه النقطةُ لابُدَّ أن تُعرَفَ من البداية..
هذا الحديثُ جاء في (صحيح البخاري)، طبعةُ دارِ صادر/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الأولى/ ٢٠٠٤ ميلادي/ البخاري توفِّي سنة (٢٥٦) للهجرة، البابُ الثالثَ عشر: "بابُ كراهيّة الشَّفاعة في الحدِّ إذا رُفِعَ إلى السلطان"، رقم الحديث (٦٧٨٨): **بسنده** - بسند البخاري - **عن عائشة رضي اللَّهُ عنها** - فهذا حَديثٌ من أحاديث عائشة - **:أنَّ قُرَيْشَاً أَهمَّتهُم المرأةُ المخزوميّة الَّتي سرقَت فقالُوا: مَن يُكَلـمُ رَسُولَ اللّه؟** - أهمَّتهُم؛ أي اهتمّوا لأمرِها، لا يُريدونَ أن يُقَامَ عليها الحدّ - **مَن يُكَلـمُ رَسُولَ اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتَر - **ومَن يجترئُ عَليه إلَّا أُسامَة** - إنَّهُ أُسامةُ بنُ زيد، كانَ النَّبيُّ يهتمُّ لأمرِه فزيدٌ كانَ يُحبُّهُ رَسُولُ اللّه ولأجلِ زيد كانَ يَهتمُّ بأمرِ أُسامَة وإن كانَ أُسامةُ هذا قد خانَ رَسُولَ اللّه حينَ خانَ أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه..
-**حبُّ رَسُولَ اللّه** - هكذا كانوا يُسمّونَهُ يُسمّونَ أُسامَة بِحُبِ رَسُول اللّه، أي أنَّهُ حُبّهُ - **صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتَر - **فَكلَّمَ رَسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتَر - **فَقالَ النَّبيُّ لأُسامة: أتشفَعُ في حَدٍّ من حُدود اللّه؟! ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ وقال: يا أيُّها النَّاس إنَّما ضَلَّ مَن قبلَكم أنَّهُم كانوا إذا سَرَق الشريفُ تركوه وإذا سَرَقَ الضعيفُ فيهم أقامُوا عليه الحدّ** - بالضبط مثلما يجري الآنَ في العراق، الشريفُ ليسَ شريفاً، وإنَّما في نظر النَّاس، وهؤلاء الَّذينَ يكونونَ شُرفاءَ في نظر النَّاس هؤلاء حُقراء أنجاس في حقيقتِهم - **وأيْمُ اللّه لو أنَّ فَاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ سرقَت لقطعَ مُحَمَّدٌ يدَها** - انتهى الحديث، هذا في صحيح البخاري.
أمَّا (صحيحُ مُسلم)، فقد روى الحديثَ أيضاً، طبعةُ دارِ صادر/ بيروت - لبنان/ صاحبِ الصحيح مُسلم توفِّي سنة (٢٦١) للهجرة، كانَ مُعاصراً للبُخاري، كتابُ الحدود، وهو الكتابُ التاسعُ والعشرون من كُتُبِ صحيحِ مُسلم، البابُ الثاني: "بَابُ قطع السَّارقِ الشريف وغَيره والنَّهي عن الشَّفاعة في الحدود"، رقم الحديث (٤٤٢٦)، الصفحة (٦٧٤): **بسنده عن عائشة** - ونقلَ الحديثَ نفسَهُ إنَّما جاء في آخره: "**وأيمُ اللّه لو أنَّ فَاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ سرقَت لقطعتُ يدَها**"، وانتهى الحديث، إذاً الحديثُ مرويٌّ في الصحيحين؛ "في صحيح البخاري، وفي صحيح مُسلم".
ورواهُ أيضاً ابنُ أبي شيبة العبسي في كتابه (المصنَّف)، وهذا أقدَمُ من الصحيحين، ابنُ أبي شَيبة توفِّي سنة (٢٣٥) للهجرة، المجلَّدُ الثامن من طبعة دار الحديث/ القاهرة - مصر/ صفحة (٣٩٨)، رقم الحديث (٢٨٦٦٣): **بسنده، عن محمَّد بن طلحةَ ابن رُكانة عن أُمِّه عائشة بِنت مسعود ابن الأسود** - هذه ما هي بعائشةَ زوجة النَّبي، هذه عائشةٌ أُخرى - **عن أبيهَا مسعود قالَ: لَمَّا سرقَت المرأةُ تلك القَطيفَة من بَيت رَسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتر - **أعظَمْنا ذلك وكَانت المرأةُ من قُريش فجِئنا إلى النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتَر - **نُكَلِّمهُ وقُلنا نحنُ نفديها بأربعينَ أوقيّة** - بأربعينَ أوقيّة من المال من الذهبِ من الفضّة - **قالَ رَسُولُ اللّه: تَطهُرُ خيرٌ لَها** - تطهُرَ يعني أن يُقامَ عليها الحدّ لأنَّ إقامَة الحدِّ تطهيرٌ للَّذي يجبُ أن يُقامَ عليه الحدّ - **فلمَّا سَمعنا لينَ قَول رَسُول اللّه** - لأنَّهُ قالَ خيرٌ لَها ما قالَ يجبُ أن يُقامَ عليها - **صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتر - **أتينا أُسامَة فقُلنا كلـم رَسُولَ اللّه، فلمَّا رَأى رَسُولُ اللّه ذلك قامَ خطيباً فقالَ: ما إكْثاركُم عَلَيَّ في حدٍّ من حُدود اللّه** - أنتُم جِئتُم وكلَّمتموني وجاءني أُسامةُ - **وقَعَ على أمَةٍ من إماء اللّه، والَّذي نفسي بيدِه لو كَانتَ فَاطِمَةُ بِنتُ رَسُول اللّه نزلَت بالَّذي نزلَت بِه هذهِ المرأة لقَطَع مُحَمَّدٌ يدَها** - أي لو سرقَت.

وهذا الحديثُ يتردَّدُ في كُتُبِ المكتبةِ السنيّةِ بنحوٍ واضح، وبهذا النَّص وينتهي عندَ هذه الجُملة: "من أنَّ فَاطمَةَ لو سرَقت فإنَّ مُحَمَّداً سيقطعُ يدَها"..
إذا أخذنا الجُملةَ الَّتي تتحدَّثُ عن الصدِّيقةِ الكُبرى فَاطمَةَ وحاولنا فهمها وِفقاً للظهُورِ العرفي فإنَّ الكلامَ واَضحٌ؛ النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله يضعُ فَاطِمَةَ في مكانِ الاتِّهامِ، هو لا يتّهِمُها بالسرقةِ وإنَّما يتّهِمُها بأنَّها يُمكنُ أن تفعلَ هذا..
إذا كانَ النَّبيّ قد قالَ هذا الكلامَ فَعلاً قطعاً لا يقصدُ هذا المعنى السيئ، إنَّهُ يقصدُ معنىً آخر، أو أنَّ الَّذينَ نقلوا الحديثَ عن النَّبي حَرَّفوا الكلامَ، أو أنَّ الكلامَ مَكذُوبٌ على رَسُولِ اللّه صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله.
في كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، طبعةُ مؤسَّسةَ الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ ذاتُ المجلَّد الكبير الَّذي يشتملُ على الجزأين، الصفحة الثانية والتسعين من احتجاجِ أمير المؤمنينَ على أبي بكر بِخُصوصِ غَصْبِه لِفَدَك الَّتي هي نحلَةُ رَسُولِ اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله لفَاطمَةَ وبأمرٍ مِن اللّه: **فَقالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: يَا أَبَا بَكْرٍ تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ؟** - هذا بعدَ أن جاءتَ فَاطمَةُ بأدلَّتها وجاءت بالشهود ورَفضَ أبو بكرٍ الشهود، ومَن هُمَ الشُهود؟ علي بنُ أبي طالبَ، الحسَنُ، الحسين، هؤلاء هُمَ شهودُ فَاطمَةَ إنَّهُم العترةُ الطاهرة، وهل فَاطمَةُ تحتاجُ إلى شُهُود؟! - **قَالَ: نَعَم، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، فِيمَنْ نَزَلَت فِينَا أَمْ فِي غَيْرِنَا؟ قَالَ: بَل فِيكُم، قَالَ: فَلَوْ أَنَّ شُهُوداً شَهِدُوا عَلَى فَاطِمَةَ بِنتِ رَسُولِ اللَّهِ بِفَاحِشَةٍ مَا كُنْتَ صَانِعاً بِهَا؟ قَالَ: كُنتُ أُقِيمُ عَلَيْهَا الْحَدَّ كَمَا أُقِيمُهُ عَلَى نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: إِذاً كُنْتَ عِنْدَ اللّه مِن الْكَافِرِينَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لأَنَّكَ رَدَدْتَ شَهَادَةَ اللّه لَهَا بِالطَّهَارَةِ وَقَبِلْتَ شَهَادَةَ النَّاسِ عَلَيْهَا، كَمَا رَدَدْتَ حُكْمَ اللَّهِ وَحُكْمَ رَسُولِه أَنْ جَعَلَ لَهَا فَدَكاً قَدْ قَبَضَتْهُ فِي حَيَاتِه** - قَبضَت هذا المـلْك في حياة النَّبيّ - **ثُمَّ قَبِلْتَ شَهَادَةَ إِعْرَابِيٍّ بَائِلٍ عَلَى عَقِبَيْهِ عَلَيْهَا** - ذلكَ الأعرابيُّ الَّذي هُم اتَّفقوا معهُ وشَهِدَ على أنَّهُ سمعَ من رَسُول اللّه أنَّهُ قال؛ "نحنُ معاشرَ الأنبياء لا نُورثُ"، أعرابيٌ بوّالٌ على عقَبيه لا يعرفُ شيئاً من الحديث، كذَّابونَ هؤلاء خلفاء المسلمين - **وأَخَذْتَ مِنْهَا فَدَكاً وَزَعَمْتَ أَنَّهُ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَد قَالَ رَسُولُ اللّه: الْبَيِّـنَةُ عَلَى الْـمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْـمُدَّعَى عَلَيْه** - فهذا الأعرابيُّ حتَّى إذا أردنا أن نقبلَ دعواه عَليه أن يُقيمَ البيِّـنَة، وفَاطمَةُ مُدَّعى عليها، الـمُدَّعى عليه ليسَ عليه أن يُقيمَ البيِّـنَةَ وإنَّما عليه اليمينُ فقط، ومعَ ذلكَ فَاطمَةَ جاءت ببَيِّـنتها جاءت بعَلِيٍّ وبالحَسَنِ والحُسين وردَّهَا أبو بكر، أيّ ضلال هذا؟!
- **فَرَدَدْتَ قَوْلَ رَسُولِ اللّه الْبَيِّـنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَن ادُّعِيَ عَلَيْه، فَدَمْدَمَ النَّاسُ** - الَّذينَ كانوا جُلُوساً في المسجد - **وَأَنْكَرُوا وَنَظَرَ بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: صَدَقَ وَاللّه عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب** - ورَجعَ الإمامُ إلى مَنزله، فهؤلاء سَفَلَةٌ أيضاً لماذا لم يتكلَّموا؟! لماذا لم يَعترضوا؟! هكذا جرت الأمور..
وِفقاً لهذا المنطق لا يُمكنُ أنَّ رَسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله يضعُ فَاطِمَةَ في موضع الاتـهام ومُرادي من موضع الاتـهام أنَّها يُمكنُ أن تسرِق لا يعني أنَّها سرِقت من أنَّهُ اتَّهمَها بشيءٍ سرقتهُ، ولكن حينما يتكلَّمُ بهذا الكلام بحسَب الظهور العرفي فإنَّ فَاطِمَةَ قد وُضعت في موضع الاتـهام، لكنَّ الحقيقةَ أنَّ الأمر ليس هكذا.
هذا الكلامُ قيلَ لغاية، وهذه الغايةُ تنشَطِرُ إلى شطرين:
الشطرُ الأوَّل : فإنَّ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّد ضَحّوا ويُضحّونَ بِكُلِّ شيءٍ لتطبيقِ برنامجِ اللّه لهداية النَّاس، هل هُناكَ تضحيةٌ كالَّذي فعلَهُ الحُسَين؟ القربانُ الأوَّلُ رَسُولُ اللّه صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله يقول: (مَا أُوْذِي نَبِيٌّ مثلَما أُوْذيتَ)، وقُتلَ مَسموماً، بعد أن أهانُوه في واقعة رزيَّة الخميس وعانَدوه ورفضوا أمرَه، فَاطِمَة قتلُوها وقتلُوا جنينَها، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد قدَّموا القرابينَ تلو القَرابين وقدَّموا الأضاحي من عند أنفُسهم تلوَ الأضاحي، في هذا المسارِ فإنَّهُم أيضاً ينسبونَ النَّقصَ إليهِم لأجلِ إقامَةِ الحقّ، كي يكونوا أُسوةً، المقامُ ما هُو بمقامِ اتـهامِ لفَاطِمَةَ صلواتُ اللّه عليها، لابُدَّ أن نفهَمَ الكلامَ وفقاً لمعاريض القول، وما المرادُ من معاريض القول؟ أن نفهمَ الكلامَ وفقاً لأُصول العقيدة ولأصول المعرفة في دين العترة الطاهرة، إنَّني أقولُ كُلَّ هذا الكلامِ بإمكاني أن أُنكرَ الحديث فهُو حديثٌ لم يَرِد عن العترة الطاهرة، وهذا الحديثُ موجودٌ في كُتُبِ أعداء العترة الطاهرة، وبحسَبِ الظهور العرفي يضعُ الصدِّيقة الطاهرة في موضع الاتـهام فلماذا أُطيلُ في التفصيل؟ لأنَّني أُريدُ أن أصِلَ بِكُم إلى هذه النقطة، إلى أيَّةِ نُقطة؟ من أنَّ الحديثَ مُحرَّفٌ هذا الحديثُ لَهُ تَتِمَّةٌ، وتَتِمَّةُ الحديث هذه كانت موجودةً في كُتُبِهِم لكنَّهُم حرفُوها مثلما حرفوا كُلَّ شيء.
(مناقبُ آل أبي طالب)، لابنِ شهر آشوب المازندراني، المتوفّى سنة (٥٨٨) للهجرة، هذا الكتابُ يتألَّف من أربعة أجزاء بغضَّ النظرِ عن جزء الفهارس، طبعةُ دار الأضواء/ بيروت - لبنان/ الجزء الثالث، صفحة (٣٧٢)، الكتابُ تعرَّضَ للتحريف، ينقُلُ عن صحيح الدارقطَني، الدارقطني عالمٌ مُحدِّثٌ سُنـي معروف من كبارِ علماء السُنَّة متوفّى سنة (٣٨٥) للهجرة، صحيح الدارقطني لا يُوجدُ كتابٌ بهذا الاسم في زماننا، رُبَّما كانَ موجوداً ونَقَلَ عنهُ ابنُ شهر آشوب المازندراني، ورُبَّما هُوَ هُوَ كتابهُ السُنن، سُنَنُ الدارقطني، أمّا صحيحُ الدارقطني هُناكَ من عوامِ السُنَّة مَن يُطلقُ على سُنَنِ الدارقطني صحيحَ الدارقطني، لكنَّني لا أعتقدُ أنَّ ابنَ شهر آشوب لا يعرِفُ هذا، على أيِّ حال، نقلَ روايةً عن صحيح الدارقطني فلنُقل مَن أنَّ الدارقطني ليس عندَهُ كتابٌ بهذا العنوان إنَّها سُنَنُ الدارقطني، إذا ما رجعنا إلى سُنَنِ الدارقطني فلا توجدُ هذه الرواية، هذا الحديثُ إتمامٌ لذلكَ الحديث، سأقرؤهُ عليكُم:
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلَّم أَمَرَ بِقَطْعِ لُص - بِقَطع يده لأنَّه كانَ سَارِقاً - **فَقَالَ اللِّصُّ: يَا رَسُولَ اللّه قَدَّمْتَهُ فِي الإِسْلَام** - يعني أنَّكَ شَرَّفتني بالإسلام أو رُبَّما يقول قدَّمتُهُ أنا في الإسلام، جاهدتُ بينَ يديك - **وتَأْمُرُهُ بِالقَطْع** - والآن تُريدُ أن تقطعَ يدي - **فَقَالَ النَّبي: لَوْ كَانَت ابْنَتِي فَاطِمَة لَقَطَعْتُ هَذا مَعَهَا** - لو كانَت ابْنَتي فَاطِمَة - **فَسَمِعَت فَاطِمَةُ فَحَزِنَت، فَنَزَلَ جِبرِيلُ عَلَيه السَّلام بِقَوله** - يُخاطبُ النَّبيّ - **"لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ"** - النَّبي لا يُمكن أن يُشرِك ولكن مُجاراةً للكلام نفسهِ - **فَحَزِنَ رَسُولُ اللّه فَنَزل** - نَزلَ القُرآن - **"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"** - اللّهُ نسبَ هذا الكلامَ إلى نَفسه أيضاً، فكأنَّهُ أخذَ يتحدَّثُ عن شريكٍ وعن فساد في هذا الوجود - **فَتَعَجَّبَ النَّبي من ذَلك، فَنَزَلَ جَبرَائِيل وَقَال: كَانَت فَاطِمَة حَزِنَت من قَولِك فَهَذه الآيَاتُ لِمُوافَقَتِهَا لِتَرْضَى** - سياقُ الحديث ضعيفٌ وضَعيفٌ جدَّاً ففَاطِمَةُ لَن تَحزَن إلَّا إذا كانَ هذا الحُزن إظهاراً فقط كي يَستشعرهُ النَّاس لتَتَبيَّن مَنزلَةُ فَاطِمَة، من أنَّ النَّبيّ حينما قالَ عنها ما قال نزلَت الآياتُ فقالت عن النَّبيّ ما قالت وقالَ اللّهُ عن نفسه ما قال، تركيبُ الحديث ليسَ مُناسباً لشأنِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، نُقلَ بالمضمون لكنَّ الغاية واضحةٌ من الآيات، فالروايةُ هذه تُشيرُ إلى أنَّ أُسلوباً في القُرآنِ واضحٌ لا يُمكنُ أن نفهَمَ مِن دُونه الآيات، لأنَّنا إذا فَهِمنا الآيَاتِ بحسَبِ الظهور العرفي سيكونُ المعنى مُختلّاً، إذاً لابُدَّ من فهمه وفقاً للكناية العالية..
في سورة الزُّمر، الآية الخامسة والستين بعدَ البسملة: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ - هذا أُسلوبٌ عندَ اللّه، في الدِّياناتِ السابقةِ كانَ موجوداً - **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، فهل النَّبيّ كذلك؟! وماذا بعد؟
في سورة الأنبياء، الآية الثانية والعشرين بعدَ البسملة: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾.

في سورة الإسراء، الآية الثالثة والسبعين بعدَ البسملة وما بعدَها: ﴿**وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ۞ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ۞ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** - لأذقناكَ الآلامَ الشديدة في الحياةِ وفي الموت - **ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً**﴾، بحسب الظاهر العُرفي هذا انتقاصٌ كبيرٌ من رَسُول اللّه.

بغضِّ النَّظرِ عن حديث أنَّ فَاطِمَة لو سرقت هل هو حديثٌ صحيح أم لم يَكُن صحيحاً، إنَّما أردتُ أن أُخبرَ عن أُسلوبٍ موجود في القُرآنِ وفي الروايات والأحاديث، فهُناكَ كلامٌ إذا فُهِمَ بِحدُود الألفاظ يكونُ فهماً خاطئاً، ومن هُنا فإنَّ القُرآنَ تحدَّثَ عن نفسه، هُناكَ ما هو مُتشابهٌ وهُناكَ ما هُو مُحكَمٌ، وغايَةُ الأمر أنَّ حقيقة التَّأويلِ لا يعلمُ بِها إلَّا اللَّهُ والرَّاسخُونَ في العِلْمِ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد.

الحكمةُ من هذه الأساليب هي هذه النتيجة؛ "**أَنَ نَعودَ إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد** "، وإلَّا فإنَّ التعبيرَ بهذه الأساليب الَّذي يؤدِّي إلى تضييع الحقائقِ إذا اعتمدنا على أنفُسنا قد يُسَبِّبُ مُشكلةً لنا، لكَنَّ القُرآنَ يتحدَّثُ بطريقةٍ يُريدُ أنَ يُوصلنا إلى هذهِ النتيجة؛ من أنَّنا لن نُدرِكَ الحقيقةَ الكاملةَ إلَّا بالرجوعِ إليهِم صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليهِم أجمعين.

في سورة الحاقة، الآية الأربعين بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** - من مُحَمَّد صلَّى اللَّهُ عليه وآله - **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾، هل هذا يقولهُ اللَّهُ لحبيبه مُحَمَّد صلَّى اللَّهُ عليه وآله بحدود حاقِّ الألفاظ؟! هل هذا الكلامُ يناسبُ اللّه؟! هل هذا الكلامُ يُناسبُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عليه وآله؟! مُحَمَّدٌ يتقوَّلُ على اللّه بعضَ الأقاويل؟! هذا أُسلوبُ الكنايات العالية، إذا أردنا أن نفهَم الآياتِ بِحدود حاقِّ الألفاظ فإنَّ الفَهم سيكونُ مُختلَّاً ومثلُ هَذا كثيرٌ في القُرآن، ومثلُ هذا كثيرٌ في أحاديثهِم، ولذا قالوا لَنا؛ "من أنَّ الكلمةَ منَّا تنصَرِفُ إلى سبعينَ وجه ولَنا من جميعها المخرج"، كيفَ يكونُ هذا المخرج؟ من خِلالِ المعاريض، وهذهِ المعاريضُ لن يستطيعَ الإنسانُ أن يتعاملَ معها ما لَم تَكُن عِندَهُ أُصول العقيدةِ واضحة..